ثلاثة افلام فلسطينية

شاهدت جماهير المخيمات من ضمن العروض السينمائية التي نشطت في هذه الفترة سواء تلك التي بادرت بعرضها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين او مبادرات افلام فلسطينية في منظمة فتح ، شاهدت ثلاثة افلام فلسطينية انتجت مؤخرا هي « حرب الايام الاربعة » و « ليلة فلسطينية » و « الارهاب الصهيوني » نفذها تصويرا ومونتاجا واخرجها ايضا السينمائي الشاب سمير نمر .

لقد كنا ومنذ زمن نبحث عن الوثيقة السينمائية المعبرة عن واقع ملتهب تعيشه الثورة الفلسطينية في مجابهة كل اشكال العدوان والتعسف ، كذلك في تحركها لتفجير الوعي عند الجماهير لتكون قادرة على الدفاع عن حقها .. ولقد كانت كل الوثائق ، او ربما اغلبها، التي تحققت ، دون مستوى الثورة الا اننا لمسنا وبوضوح وثائق هامة حققتها افلام فلسطين ، تلك التي التقطها سمير نمر وضمنها افلامه الثلاثة ، ولكن بقدر ما كانت هذه الوثائق هامة وحارة الا ان بعض الملاحظات سواء في بنائها لتحقيق الافكار الاساسية لموضوعاته ، او في الاستفادة وتسخير الصوت لصالح هذه الفكرة الاساسية او تلك، قد بقيت تحتاج الى تأمل ودراسة وافيتين لتصبح الوثيقة فيلما ذي تأثير كامل حسيا وعقليا سواء على جماهيرنا او على الانسان في الخارج .

● حرب الايام الاربعة

العدوان الصهيوني على جنوب لبنان والذي اطلق عليه المراقبون حرب الايام الاربعة يعتبر اهم هذه الافلام . فلاول مرة نشاهد السينمائي الفلسطيني والكاميرا الفلسطينية تخوض المعركة الى جانب البندقية ، وترد على ادعاءات العدو الذي يزعم في مؤتمراته ان الفدائيين انهزموا كعادتهم . نرى لنا الكاميرا كيف ان المقاتلين الفلسطينيين يتقدمون ببطولة وفداء ، لنشاهد معنوياتهم العالية وقدراتهم الشجاعة على الرد في حين نشاهد انسحاب العدو وهو يحمل جنوده في الهليكوبتر .

نقول ان حرب الايام الاربعة هو اول انتصار للوثيقة السينمائية الفلسطينية الشجاعة الا ان اغراق المخرج في اسناد الصورة باناشيد متتالية قد قلل من اهمية الحدث . ان المؤثرات الصوتية تكون وحدها في كثير من الاحيان جديرة بالصورة . والصمت الذي هو جملة موسيقية له قدرته ايضا على اعطاء الدلالات عن مضامين وجمل سينمائية معينة . كما وقد اكثر المخرج من استعمال العناوين الصحفية التي تشيد بشجاعة الفدائي الفلسطيني والتي لم ار ضرورة لها بالكثرة التي شاهدناها فيها ، لان الصورة المتحركة كانت معبرة اكثر ولا حاجة لاسنادها بالعناوين الصحفية . كان يمكن استخدام العنوان الصحفي الذي لم تحققه الصورة .

من اللمسات الذكية في فيلم حرب الايام الاربعة . رمز الافعى الذي ربط مع زحف العدو .. الشكل الملتوي للزحف . وبعد الانسحاب نشاهد الافعى وهي تنزع جلدها دلالة على اقدام العدو على حروب اخرى باشكال متعددة .

ان فيلم حرب الايام الاربعة يبقى الوثيقة الاولى الهامة في بدايات السينما الفلسطينية التي تظافر الجهود المخلصة لوضعها في بداية الطريق الصحيح .

● ليلة فلسطينية

حاول المخرج في هذا الفيلم الاستفادة من حفلة فولكلورية فلسطينية لربط هذا الشريط الاخباري باحداث لها علاقة بما يقدم على المسرح . كان ينقلنا من المسرح الى حياة الفدائيين او الى ما يعانيه الفلسطينيون في الارض المحتلة . ومع ان طريقة الانتقال كانت ذكية الا ان فقر المادة الصورية والصوتية لليلة الفلسطينية على المسرح قد اضعف الفيلم . ان قبل هذه الوثائق الاخبارية لا ارى ضرورة تحويلها الى فيلم ذي مضمون وخط درامي ان لم تكن غنية بالدرجة التي تخدم هذا الخط .. مثل هذه الوثائق يمكن ان تكون اخبارا لجريدة سينمائية ما زلنا نطمح لتحقيقها لتكون ناطقة باسم الثورة الفلسطينية ككل ، وما زلنا نطمح لكي تصبح جريدة منتظمة الانتاج والانتشار لتسهم الى جانب المقاتلين الشجعان في المعركة التي يخوضها حتى النصر والتحرير .

● الارهاب الصهيوني

للرد على ادعاءات العدو واجلاء كثير من الحقائق التي يحاول عكسها لما يخدم اغراضه العدوانية ووجوده اللاشرعي ، يكون من المفيد جدا اطلاع الراي العام العالمي على اساليب العدو الارهابية والهتلرية . وياتي فيلم « الارهاب الصهيوني » لتحقيق جزء من هذه المهمة ، فيعرض لنا بالوثيقة الحية اساليب عدونا الشرسة في قتل الاطفال وتهديم المساكن واتلاف المزارع، بعد ان نشاهد مزارع الفلاحين وحياتهم الناعمة معززة بنغمة « التبّاعة » الفلاحية .

كنت اود استغلال نغمة الشبابة كجملة موسيقية متنوعة الايقاعات والمضامين طوال الفيلم ، الا ان خلط هذا النغم والتنويع في استخدام الموسيقى والمؤثرات قد اضعف خط بناء الفيلم ، ذلك ان المادة الصورية والصوتية يجب ان يتفاعلا ويطورها لتحقيق الهدف الذي يرمي اليه الفيلم – مع ذلك فان « الارهاب الصهيوني » يعتبر هو الاخر مهما بعد حرب الايام الاربعة. كما وانه اضافة جديرة بالاعتبار للفيلم الفلسطيني . ان اي مشاهد لا يمكنه ان ينسى مشهد الشهيد الذي يخرجونه من بين الانقاض ، او ذلك الذي اخرج من الماء ووضع في قطعة قماش .. كما وان اي مشاهد في اي مكان سيصرخ احتجاجا ليس فقط على اشلاء الاطفال المتناثرة بل ايضا على تلك الوجوه الطفلة في المدرسة ، وهم يتطلعون نحو المعلم الذي كتب على اللوحة « اعرف وطنك فلسطين » . لقد استطاع المخرج ان يسرق اعظم اللحظات من وجوه الاطفال .

● ● ●

ومع كل ملاحظاتنا عن هذه الوثائق الفلمية التي حاولت بجد وجدارة ان تاخذ صيغة الفيلم ، فان هذه النماذج تبقى انتصارا حقيقيا للفيلم الفلسطيني ، وتبقى جميع الادعاءات باطلة ان هي لم تاخذ هذه الصيغة وهذا التحرك .

ان السينما الفلسطينية هي في مرحلة المخاض وحتى الان لانستطيع القول انها ولدت. ليست سهلة مرحلة الولادة الصحية والطبيعية للسينما الفلسطينية . فثمة مهام كثيرة وطريق وعرة لانجاز مهمة تحقيق الفيلم الفلسطيني . الفيلم الواضح المعالم ، والمعبر عن طموح الثورة الفلسطينية وخطها الواضح وعلاقتها بالجماهير وبحركة التحرر العربية وبالثورة العالمية في دحر العدو الامبريالي الصهيوني الرجعي . ولكن الامل يبقى مشعا لا زالت هناك امكانية التعاون والتنسيق بين كل العاملين في هذا المجال لانجاز هذه المهمة الصعبة .

نجية للكاميرا الفلسطينية الشجاعة ، وثقة في ان هذا الخط سيكون مثار اهتمام الثوار ليصبح في مستوى الفاعلية الى جانب البندقية وصدفها وفيا للمقاتلين في خط النار ■■

(...)

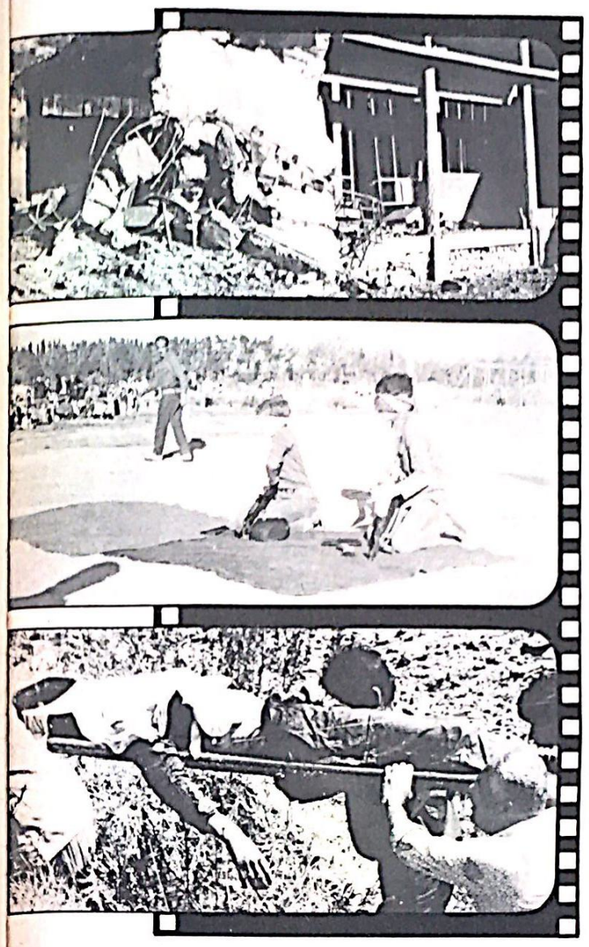

من الشعر الشعبي الثوري في السودان

ما دوامة
صحيح يا شعبنا ما دوامة
وياما أرادتك ما نوامه
وغضبك ياما وراه قيامة

ويأما وياما وما دوامة
ياتو أوامر
ياتو كوامر
تقدر لحظة تقيف قدامها
عامل عنتر
راكب الهنتر
واقفه كلابه
تحرس بابو
عشان ما يحقق علينا الدابرو
وجاب لكلابو كلاب من كابرو

المسالة كلها تحسين نسل
عامل عنتر
دايما عنده الحل في الحل .
قام اتجنن وفقد اعصابه
وسجل في الثوريه غيابه
شايف برضه عملو كتائب
فكرها غايب
تدخل جاهل
تافه
خايب
تطلع ضابط
كتفك لامع
وجيبك طامع
وميزك جنة وخالي ضرائب
واحد ناضل

وآخرتو فاصل
وقام اتفكه
لاقرب سكه – يجيب الفكه
غير وش وبدل وش
وقام اتفلح فكرا
قش

سوقى
وهش
وحربانة ام بنابه
قش

وما دوامة
التلفون جنب التلفون
واستقبال في التلفزيون
بدخلوا وزراء يطلعوا سفرا
أشتراكية سرجي مرجي
انت حكيم ولا تمرجي
اشتراكية شيخم بيخم
وشختك بختك
صفق تبنى الاشتراكية
وما دوامة

القصيدة التي ألقاها الدكتور ميشال سليمان
في الذكرى الأولى لاستشهاد الرفيق غسان

برودة كفيك وثيقة ادانة

رايتك في النوء نورا
وفي الليلة المدلهمة ضوءا
وهذ الصباح
ظلالا
توهج بالكشف والكبرياء
وارضا تقاسمها الدخلاء الطغاة ، ومن
زعموا اولياء

× × ×

هذه الارض ، ارضك مكتوبة على دمك
حملتها وكانت قبلا ترابا بفجره الحبور الساذج
وخضرة تنزهت عن جرائم العبادات والسلالات
لكن الارض عميقة . الارض منطلبة .
الارض تتطلب معمودية الاموات
من عبدوها
من لعنوها
من تسجوا فيها
وهم وحدهم يردون اليها بكارة هتكت .

× × ×

حملتها الارض
تستيقظ على طلقات طفولتك النقية
برشها فوم وهبوا انفسهم لظهر الجلدور
وتراهم ، ونعفى التراب
وتحس بحرقة الدم الحي
وتصبح ابن وطن
رجلا قائما
قويا لنقاتل اليوم
ولكي تموت فدا

× × ×

ولهذا ، اثرت جنة التوابيت على تابوت الجنة
فحين يسقط في الحلبة قلم
يحس الخلق الاسمى بجرح في جبينه
وهزة كونية تعتري الجبال ، جبال الناس
ونور ميت ، يتعدى زحف النهر الكبير
وبرغم صمت الصحارى والغبار
كان لسانك ، روحك الفلق في وجهها كل باب
فماذا تكون لبستانك المتراص على
حافة الموت ؟
سنسقيه بالازهر مطاء ...
سنحرسه بالاقوى فداء ...
جرحنا وسع الدنيا
فكيف مسودة الكتابة المعمارية
نقصب مسلة تعمل السماء ؟
وكيف الريح التي يطعم النار
تتخذ لون الوردة ؟
فيما نحن ماخوذون باسماء الالوان المفصلة
كما تهوى الفصول

× × ×

ترى ، خريف الارض ، ام خريف بقائك فيها ؟
ومن الذي ممن نحب ، يعتصر الخوذة ،
ويحمل السلاح ؟

× × ×

حصل الذي كان
بالغ بالاختيار من نشروا لحمه وعظامه في كل
ريح ، في كل جهة ، اذ اصابوا قلبا للامة .
وقلب الامة لن يموت .
آثروا ان يقولوا في صدر الوطن الفلسطيني
صوتا من اصواته الجهرة .
ارادوا ان يمحوا وجه الامة فصوروا بجريمتهم
وجهين : وجه الحكام الطغاة المتامرين ،
ووجه الشعب
الخارج من ليابه يهدر في مسامع الدنيا
صارخا : اين حقي .

× × ×

ولم يكن راسك ابدا في مثل استعداده
للانفجار بوم واجهه .
وكان الموت عندك العجيبة الوحيدة
والجرح الذي يحسب
وكنت تحس رصيده في كل حساباتك
وفي الصناعة التي اتقنت
لانك جدار في قلعة الصمود والمواجهة
وامتياز في شرف الانتماء لقضية .
ولم يكن ثمة من يموت من اجلك
كانما انت الوطن لم يمت من اجله احد
ومات الجميع
وهو لما يمت
وكلما اشتاق طعم الدم ، جاءه من قلب
الف شهيد
فان تموت لا تعني شيئا
لان الموت ليس سوى تحول
فهل رايت شعبا يموت ؟
انه يتحول في اشعة هذه المراة المحرقة
ما دامت مسافة الخلق بين الحرية والوطن
بحجم الحربة ، وبحجم الوطن .

× × ×

حصل الذي كان
حفيف الاوراق الثلجي
في ادغال الصحف الصفراء
حل محل سقوط الاوراق
نثارها
جاء الاحياء
بخريف الدم .

× × ×

ويا غسان :
تموت انت ؟
الوطن يعاني من موت يومي ..
وانت تخط ، بعد مونك ذات الحروف
على نرس الذبل النحاسي البارد
الذي تحقق وجوده ملامس انامل تركتها
بعمر الورود .
وطن المجرمون انهم انما انتصروا
وما دروا
انهم شنقوا آمالهم بشجرة حقدهم اليابسة .
وتستمر انت في خط الدوائر
حول الذين تطيب لهم النزهة فوق السطوح
ونحن نعلم انه لم يكن ليخمك المخيل المزيف
والخطوات الممدودة فوق البساط الاخضر
وكنت تحتفر قرن الثور الذي يشق عصا
الطاعة ليعود الى ثلمه من جديد .
ولم تكن لك ايضا كف الانشقاق التي كانت
قبيلة القتلة تعريها في لحظة البحيرة والمراة
ولهذا
كنت بيضة البلور ، المبدلة محجا الاصفر
بخضرة عينيك
وتخترع في مونك لونا رسميا
يختزنه الطلاب في دفاتر الذكرى
وجها للانتصار .

× × ×

ويا غسان :
زجاجة خمر الشهادة التي فتحت
جملتك تخرج منها روحا مشبعا ببعث الفصول
وبرودة كفيك .
انما هي وثيقة ادانة من خانوا وجوب
النزول الى الاعماق ، مدركين
بنجمتك الخضراء ...
وعرفت الان سر بهاء قرارك :
ان تحمل اخضرار عينيك : قلت
ابتسامتك في الموت
الى سطوح النيام
تكشف زيف وقوفهم
وبحثت عنك في من احبوك
ورغبت عن رؤية الحرف الى رؤية الصوت
وكان صوتك
الا انه الصدى المرجع من غد قادم ، كما الشعر
قلب الاغنية
الرحيق المبثوث
في الزهرة تقصفها الرياح

× × ×

ويا مواطن شرف في قلب الاحرار :
بمقدار اقترابي منك ، كنت تبتعد ،
فيما انت تقترب
ترى ، كنت الوطن في سورة واقعه ؟
ام صدى الورقة المنارة ، ام الجناح المهيض ؟
ام هذه التامة الحجرية هنا
ما ان تهمد من ثقل الهزيمة حتى تستيقظ
في سمار ؟
اجل !
كنت كل ذلك .
ولكن ، ما السبيل الى تكوينك حبة
حبة ، رشة
رشة ، زلزلة زلزلة ؟
لماذا ؟؟
لانك كنت كل ذلك ، قصرت من التاريخ
ولانك من بناة الفرح، وشاهد مولد الضوء
فانت الضوء في وجه من وجوهه
مثلما انت اليوم معنى من معاني الوطن في
عمق محنته، وفي الامل من روعة انتصاره.

× × ×

ويا غسان :
لدن اكتشف ان الحياة شيء ما
بدات ابحث في الحياة عما شكل التاريخ
تقود بيدك مجرى النهر
تفتح عينيك على الدهشة
ابحث عن الحمى في الداخل
عن المشهد الجامع في الصورة
وتعيش لاجلك انت
لان حجمك بعدت عن ان تحيط به
وتملاه بالعجب
بالاحرف الحديدية التي تسور دائرة وجهك
في المدى الذي تدور فيه
تصمد فيه المياه والظلال
وتطرح كل يوم سؤالا ، تعكر فيه نظام الاشياء
وتحول كل حكمة الى هيكل عظمي
تسال « عن الرجال والبنادق » ، ولا جواب .
وتسال من جديد :
من جعل « ارض البرتقال الحزين » حزينة ؟
من حول هذا العالم الى « عالم ليس لنا » ؟
لماذا لا تجيبون ؟ هل نخافون على وطنكم ان
يسلب ؟ وعلى مزارعكم ان تخرب ؟
اجيبوا ! على م الخوف ؟ ماذا تخسرون ؟
و « ما تبقى لكم » ؟
ان الذين خسروا حتى هوية الانتماء لوطن ،
ان ثاروا ، لن يخسروا الا سلاسلهم .
سيبقى ، اذن ، سؤالك بلا جواب . وسوف
تجيب انت على من يطرحونه بالتالي .
ويبدا التاريخ عن ذاك الجواب .

× × ×

ويا غسان :
لغيري ان يراك جراحا تقابل ،
ومعاول ، وسنابل ..
لغيري ان يراك مشاعل جمر ، ومشاعل ..
اما انا ، فاني : رايتك في النوء نورا
وفي الليلة المدلهمة ضوءا
وعند الصباح الملابين تصرخ :
وطني ، وطني ، وطني ، وطني !!!

(*) القيت في الذكرى الاولى لاستشهاد غسان كنفاني .